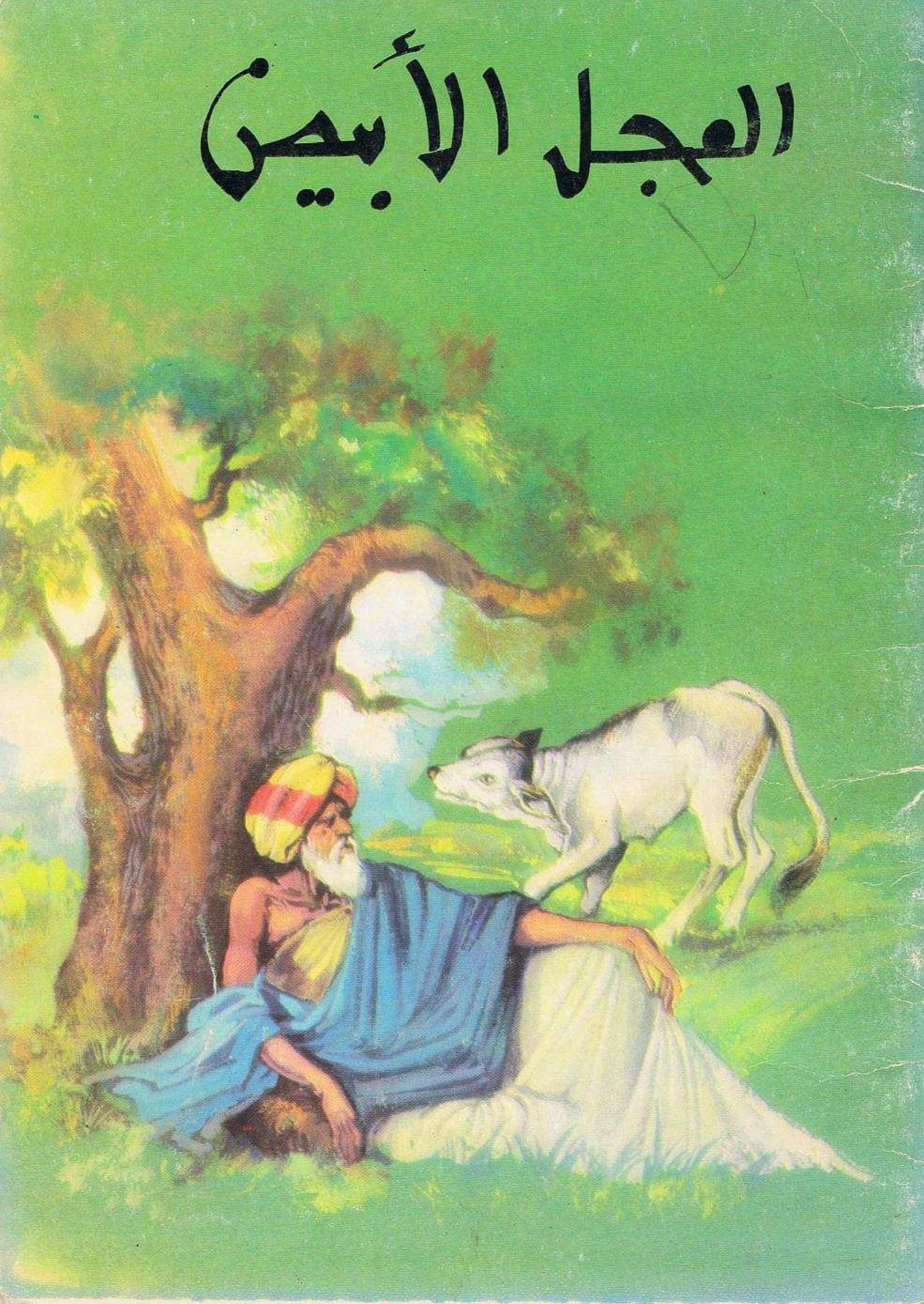

العجل الأبيض

حكايات مصورة للأطفال

العجل الأبيض



دار الشرق العربي
بيروت - شارع سورية - بناية درويش

العجل الأبيض

كانَ شيخٌ طاعنٌ في السنِ قدْ اعتادَ أنْ يجلِسَ كلِ يومٍ منفرداً تحتَ شجرةِ التوتِ ، بعيداً عنْ بيوتِ القريةِ . وكانت ساعاتُ الوحدةِ هذهِ أعذبُ ما لديهِ . وفي كل مرةٍ كانَ يستعرضُ حياتَهُ الماضيةِ وشبابهِ الذي ما زالَ حياً في ذاكرتهِ .

لقد كانَ شاباً يافعاً قوياً . يستيقظُ كلَّ يومٍ باكراً ، يرتدي ملابسهُ ، ويطعمُ دواجنهُ ، ويساعدُ أمهُ في حلبِ البقراتِ ، ثم يذهبُ إلى الحقلِ .

وكانَ حينَ يشتدُ بهِ التعبُ ويغمرهُ العرقُ يذهبُ إلى شجرةِ التوتِ فيجلسُ تحتها ، ويفتحُ صرةَ الطعامِ ، ويأكلُ ثم يتمددُ في الظلِّ .

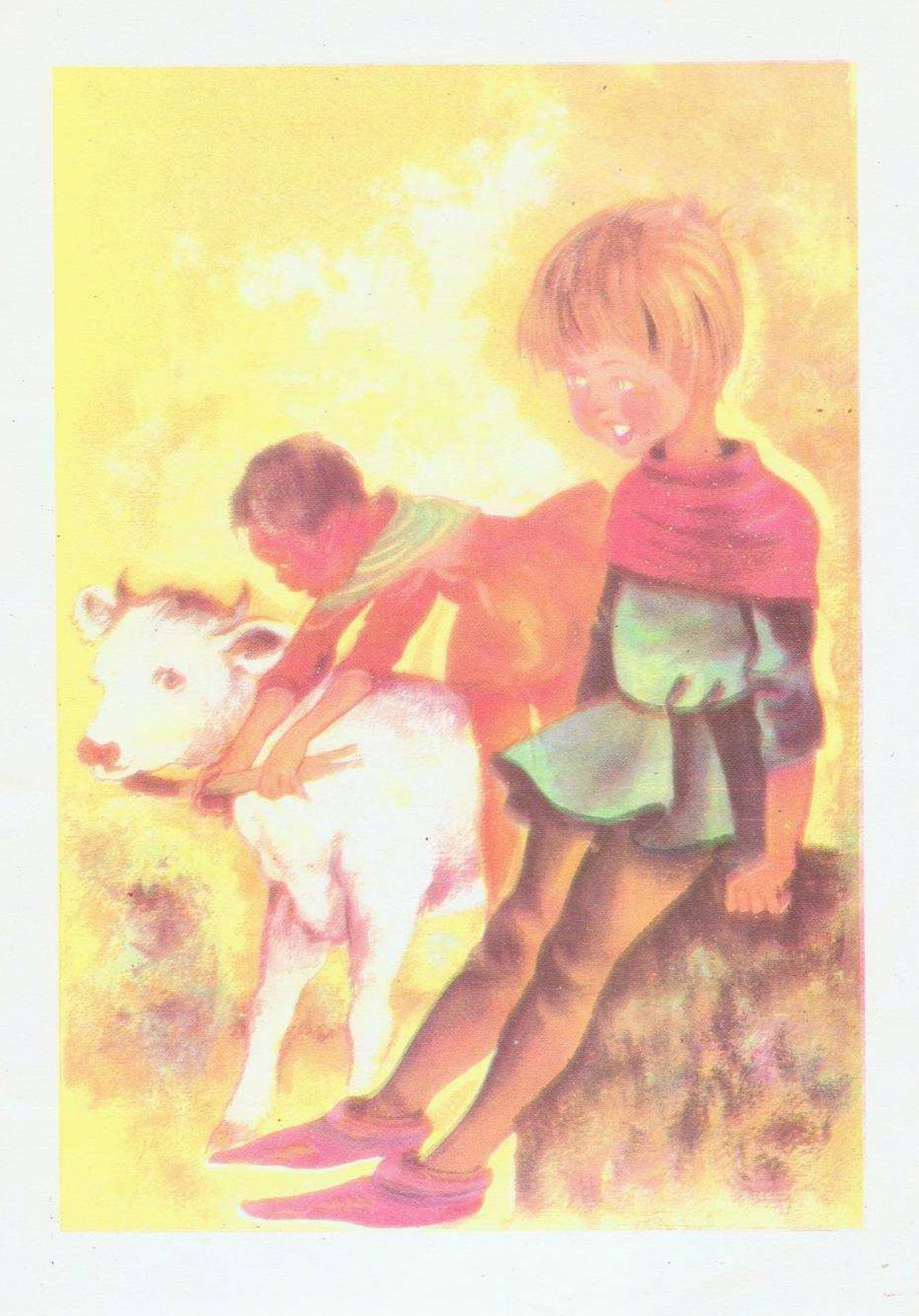
مرَّت الأيامُ وتزوجَ . وكانتْ عروسُهُ رقيقةً عرفَ معها طعمَ السعادةِ ، وقد عاشا في بيتٍ صغيرٍ ، ومعَ ذلكَ فلمْ يتضايقا وكانا سعيدينِ جداً .

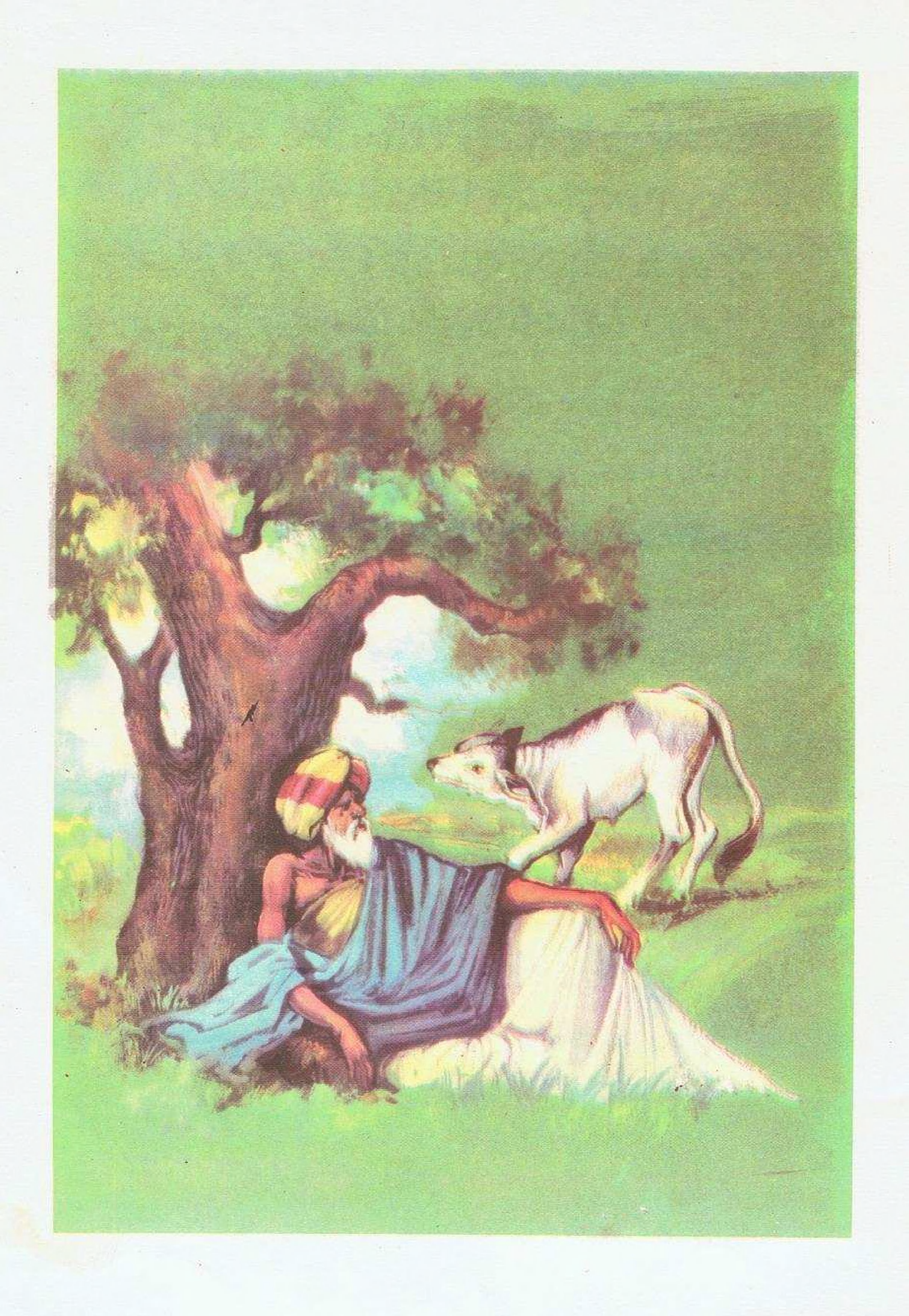
كانتْ لهما مشاكلهما . فالمطرُ قد ينحبسُ ويهدِّدُ الموسم وأغنامُ الجيرانِ تأكلُ مزروعاتِهما أحياناً . ولكنَّ هذا كلَّهُ يضيعُ في أحلامٍ واسعةٍ عن المستقبل والموسمِ وبناءِ غرفةٍ جديدةٍ ، وشراءِ بقراتٍ ، ومجيءِ الطفلِ الصغيرِ .

ورزقهُ ولدينِ ، كانا عوناً لهُ حتى شبَّا . وعادَ دولابُ الزمنِ يكرُّ ثانيةً ، فتزوجا وأصبحَ لهُ أحفادٌ ، لم يعد يعملْ ، فقد كانَ أبناؤهُ يتكفلانِ بأمورِ المعيشةِ .

وكانَ أجملَ ما لديهِ وما يحرصُ عليهِ غليونَهُ المحفور ، وصندوقهُ الحديدي ، والعجلُ الأبيضُ . وكانَ هذا الأخيرِ يفوقُها كلَّها قيمةً في نظرِهِ ، وكثيراً ما كانَ العجلُ يتمددُ في الظلِّ بجانبِ الشيخِ ، ويأتي الأطفالُ الصغارُ من أحفادِهِ ، يرتقونَ ظهرهُ ويحكونَ خدودهم في شعرهِ الأبيضِ ، ويداعبونَ أذنيهِ ، وكانَ العجلُ يتركُهم يفعلونَ ذلكَ .

وكانَ الشيخُ يتحدثُ إلى عجلهِ عنْ محاصيلهِ ، والأمطارِ المقبلةِ ، وغاراتِ الجرادِ ، كأنه يُحادثُ شخصاً أمامهُ وكانَ العجلُ يجترْ طعامَهُ في وقارٍ .. تبدو عليهِ سيماءُ التعقُّلِ والفهم مما كانَ جديراً باغاظةِ كنتي الشيخ .





وكانت الكنتان تحقدان على العجل الأبيض لأنه يلطخ الأرض النظيفة التي تحيط بالأكواخ . وكثيراً ما كانت تتحدث المرأتان حديثاً ملؤه الحقد والكره . فتقولان إن الشيخ ليس في كامل عقله .

وسرعان ما شاع في الوادي كله أن الشيخ مخبول وإن العجل الأبيض قد سحره ، وملك عقله وروحه ، ولم يكترث الشيخ لهذه الثرثرة . فقد كان في كل صباح يُخرج العجل من حظيرته ويقوده إلى مزود العلف أو كوم الحشائش ، وبينما يأكل العجل يتكىء الشيخ على جنبه ويمر بيده على شعره اللامع . فاذا وجد بعض القش أو الغبار عليه . أخذ حفنة من العشب الجاف لينظفه بها . ثم يغسل له قرنيه وحوافره ، ويغني له أغنيات وحشية غريبة .

وكان المارون يسمعونه ويتناقلون أخباره وأخذ أهل الوادي يحسون بالضيق والتذمر . فانتشر الحديث عن الأرواح وعن التنجيم .

وأقبل بعض أصدقائه يحدثونه في الأمر ، تحدثوا معه

عنِ المحاصيلِ وعما يأملونَ من أمطارٍ ، وعنِ الأعراسِ والاهلِ والاقاربِ . وبينما كانَ الرجالِ يتناقشونَ كانَ العجلُ الابيضُ يرمقهمْ بعينيهِ الحالمتينِ الجميلتينِ .

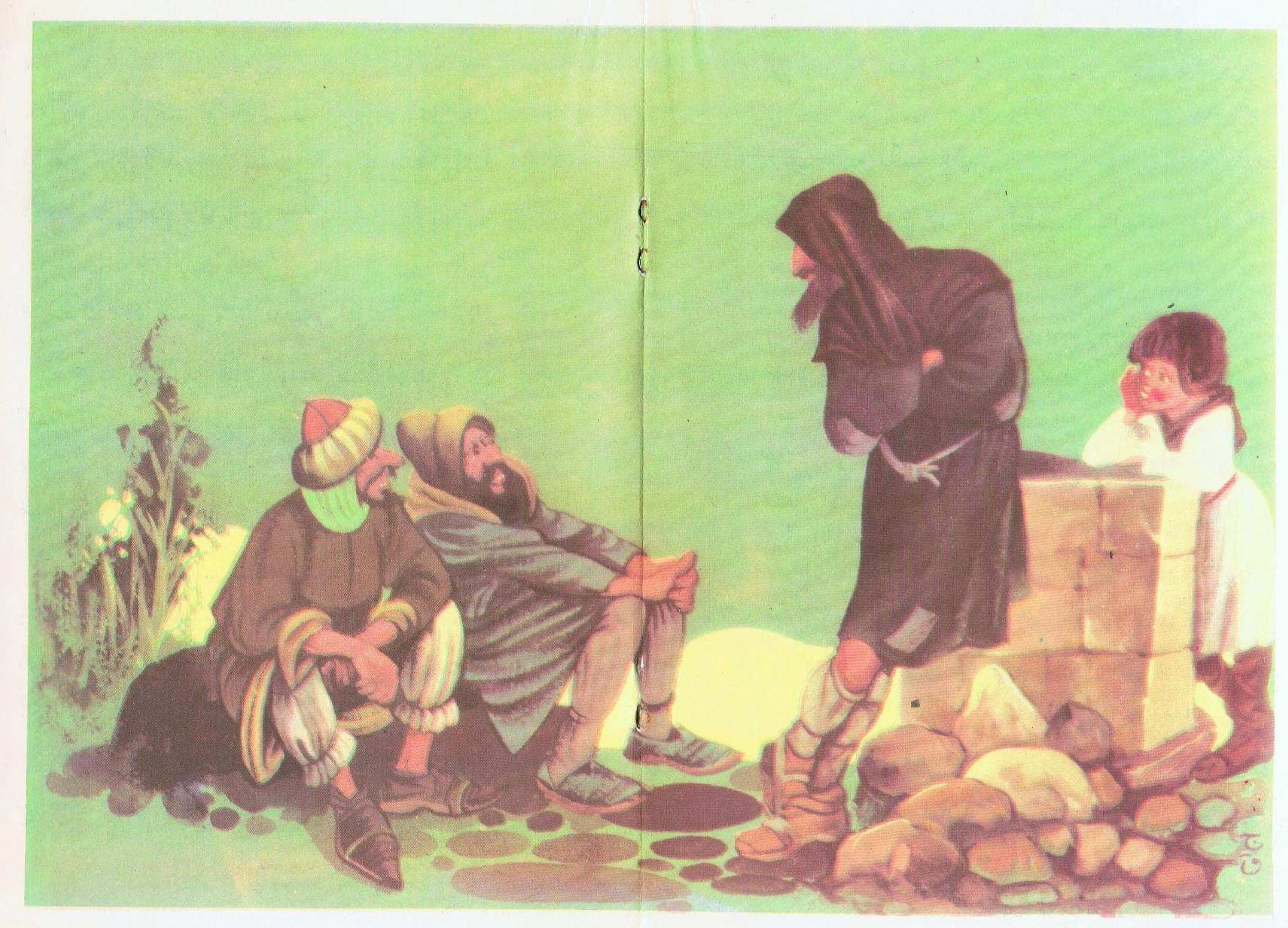
ونفذتْ فيهمْ نظرتُه ، وأشاعتِ الضيقَ والقلقَ ، وأخيراً تجرأ أحدُهم وأشارَ إلى العجلِ قائلاً :

إنهُ عجلٌ سمينٌ وجميلٌ ، وابتسمَ الشيخُ ابتسامةَ الأمِّ حين تطردنَ ابنها وقالَ : هذا العجلُ كولدي تماماً فأجابَهُ أحدُ الرجالِ : إنَّ العجلَ الأبيضَ يجلبُ النحسَ ، إنهُ نذيرُ الشؤمِ . ويُقالُ أنَّ الأرواحَ الشريرةَ تتخذُ دائماً صورةَ العجلَ الأبيضَ .

وقالَ آخرٌ ، إنَّ مثلَ هذا العجلَ يباعُ بثمنٍ مرتفعٍ ، ويمكنكَ أنْ تبتاعَ بثمنه بقرتينِ ، والأبقارَ تلدُ العجولَ ، وتعطي اللبنَ . أما عجلكَ الأبيضَ هذا فلا خيرَ فيهِ .

وغضبَ الشيخَ وقال : قلتُ لكمْ إني أعتبرهُ ابناً لي ، فكيفَ أبيعُ ابني ؟ !

وقالَ أحدهمْ فجأةً : تقولُ النسوةُ إنكَ تتحدثُ إلى



العجلِ ، وتغني لهُ أغنياتٍ غريبةٍ ، وأخذتْ نظراتُ الشيخِ تنتقلُ بينَ وجوههِم ثمَّ قالَ بهدوءٍ : إنني لا أكلمُ العجلَ الأبيضَ ، إنني أكلمُ نفسي بصوتٍ عالٍ ، كما يصيحُ الانسانُ باسمهِ في وادٍ عميقٍ لكي يسمعَ صداهُ .

وضحكَ منهُ الرجالُ مسافرينَ وقالوا : إنَّ العجلَ الأبيضَ قد سحركَ ، إنَّ العجلَ سيجلبَ النحسَ عليكَ وعلينا جميعاً .

اقتربَ الشيخُ من العجلِ وأخذَ يمسحُ لهُ شعرهُ بيدٍ رقيقةٍ وقالَ لهمْ : هذا الحيوانُ ملكي أنا ، ولَنْ أبيعهُ ، إنهُ لا يسخرُ مني إذا تكلمتُ وغنيتُ ، ولا يشتمني إذا ما أدرتُ ظهري لهُ .

هزَّ الرجالُ رؤوسهمْ مشفقينَ وخرجوا ، ولكنهمْ كانوا يعتقدونَ أنَّ مصيبةً ستحلُّ بالوادي . لكنْ لم تنزلْ أيةُ مصيبةٍ بالوادي . وشيئاً فشيئاً استعادَ الناسُ هدوءَهمْ . ولكنهمْ كانوا يتجنبونَ بيتَ الشيخِ وأهلهِ .

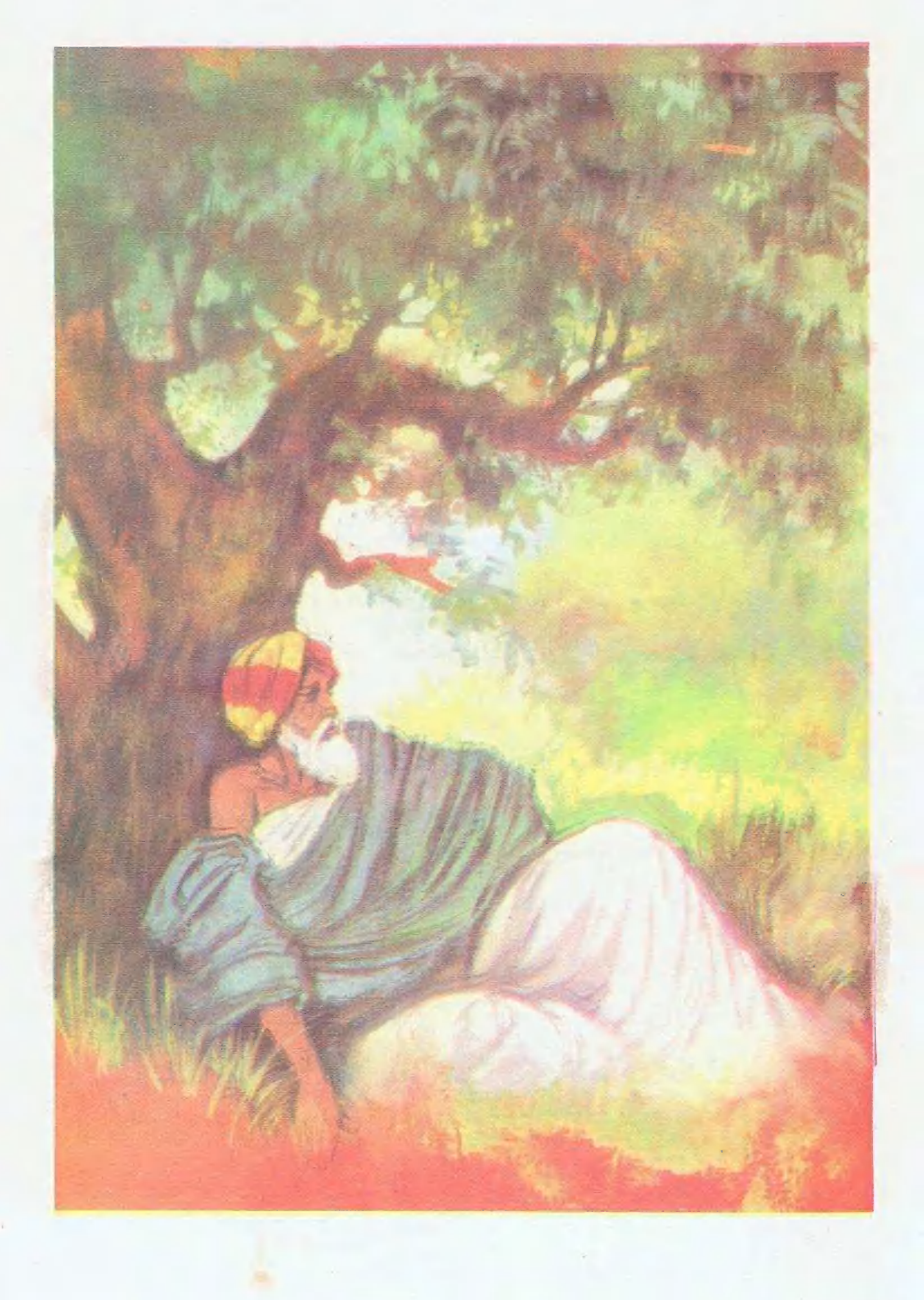
أما الشيخُ فقد بقي على عادتهِ ، يجلسُ كلَّ يومٍ في الشمسِ معَ عجلهِ .

وحل الجفافُ ، وانحبسَ المطرُ ، وساءتِ المواسمُ ويبسَ الزرعُ وشحَ الماء في الينابيعِ ، وانتشرَ المرضُ وماتت المواشي ، وماتَ بعضُ الأولادِ بسببِ أمراضٍ مفاجئةٍ ، وهكذا تتالتِ المصائبُ على أهلِ الوادي ... وتذكرَ أهلُ القريةِ عجلَ الشيخَ الأبيضِ ، واشتعلَ حقدهمْ عليهِ من جديدٍ ، واعتقدوا أنهُ هو سببُ كل بلاءٍ وقعَ في القريةِ ، وانتشرتِ الاشاعاتِ في القريةِ ، وراجتِ الخرافاتُ ، وادعى البعضُ أنهمْ شاهدوا الشيخَ يدخُلُ البيتَ وهو يمتصُّ سحابةً من لهبٍ ، وأنَّ العجلَ قد تحولَ إلى روحٍ شريرةٍ وأخذَ يتجولُ في الدروبِ .

وذاتَ صباحٍ غرقَ طفلٌ صغيرٌ في بركةٍ قريبةٍ منْ بيتِ الشيخِ وحملتِ الأمُ جثةَ ابنها وذهبتْ إلى الشيخِ ، وهي تعتقدُ أنهُ هو الذي أماتَ ابنها وطلبتْ إليه أنْ يعيدَ نورَ الحياةِ إليهِ . فقالَ لها : أنا لا أستطيعُ أنْ أُعيدَ لهذا الطفلِ الحياةَ ، إنهُ ميتٌ . وأنا أعرفُ ما تعانينَ منْ آلامٍ وأحزانٍ ولكنَّ لكِ عزاءٌ بأبنائكِ وستنجبينَ أبناءً آخرينَ يعوضونَ هذا الابن .

قالَ هذا بصوتٍ ينمُ عن حزنٍ عميقٍ ، وكانت هيئتُهُ





توحي بالطيبةِ والبراءة . وقد أثرَ هذا على الحاضرينَ جميعاً .
وسرعانَ ما أحسوا أنَّ هذا الشيخَ ينطوي على قلبٍ رحيمٍ .

حملتِ الأمُ جثةَ ابنها واتجهتْ إلى بيتها . وسادَ القريةَ الهدوءَ ثانيةً ، ولكنْ لمدةٍ قصيرةٍ ، فقدْ عادَ الناسُ بعدَ أيامٍ يتحدثونَ عنِ الشيخِ وجثةِ الطفلِ ، وتولدتْ منْ أحاديثهمْ اسطورةً انتشرتْ بسرعةٍ بينَ الناسِ ، ولم يلبثوا أنْ رددوا أنَّ الشيخَ قد وضعَ جثةَ الطفلِ عندَ قدمي العجلَ الأبيضِ ، وما أن خفضَ الحيوانَ رأسَهُ ليلمسها حتى دوتْ أصواتُ رجالٍ ودقاتِ طبولٍ ، وأظلمتِ السماء ، وأنَّ الديكةَ صاحتْ بأصواتٍ منكرةٍ ، وكأنَّ نسراً جارحاً قد نشرَ ظلهُ عليها ، وغيرَ البؤسَ والحُزنَ من طبيعةِ القومِ وزادَ حقدهمْ عليهِ وأصبحَ كلُ شيءٍ ينبيء بالانفجار .

ذاتَ صباحٍ حملَ الرجالُ هراواتهمْ يحثونَ خُطاهمْ نحو بيتِ الشيخِ ، كانتْ أمواجُ الرجالِ تتدفقُ منْ جميعِ الطرقات فخرجَ الشيخُ ليواجهُها إذ بحجر قذفَ بهِ أحدُ الشبانِ أصابهُ على خدهِ وسالَ الدمُ على جلبابهِ الأبيضِ . وخافَ الشيخُ على العجلِ ، ونظر خلفهُ وهو يأملُ أنْ يساعدهُ ابناؤهُ وأحفادُهُ ،

لكنهُ لم يرَ أحداً ، فقدْ خافوا وولوا الأدبارَ .

وفي هذهِ اللحظةِ خرج العجلُ الأبيضُ منْ حظيرتِهِ ، وما كادَ الرجالُ يلمحونهُ حتى اندفعوا إليهِ تاركينَ الشيخَ خلفهمْ ، وانهالوا عليهِ ضرباً بالهراواتِ والسكاكينَ الحادةِ حتى سقطَ العجلِ على الأرضِ صريعاً وسطَ الترابِ . وقفَ الشيخُ مذهولاً ، ثم ضربَ رأسهُ ضربةً قويةً وركضَ متعثراً نحو جثةِ العجلِ الأبيضِ . فوجدها ممزقةً شرَّ تمزيقٍ وملوثةً بالترابِ والدمِ . وبدأ الشيخُ يبكي كطفلٍ صغيرٍ ، ويتلمسُ بيديهِ حدقتي الحيوانِ الثابتتينِ المغبرتينْ .

ظلَّ الشيخُ في مكانهِ مدةً طويلةً لا يقوى على الحراكِ ، وتحاملَ على نفسهِ ومشى متعثراً إلى البيتِ صامتاً حزيناً .

ـ انتهت ـ



حكايات مصورة للأطفال

الملابس العجيبة الجديدة	الذئب الشرير
الاميرة والاسود الثلاثة	العجل الابيض
الملك والارانب العجيبة	الملك ارثر
ملاك على الارض	تضحية أم
المعروف لا يضيع	البلبل الحي
الصديق البخيل	الذئب الماكر
الاميرة والقمر	الخروف الابيض
الكنز العجيب	عذراء المحيط
زهرة الاقحوان	الغنمة وخرافها
التنين الرهيب	جعداء والفيلة

المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية
حلب - المسلمية - المنطقة الحرة -